بسم الله الرحمن الرحيم
1 – كلمة عن رائدة في التاريخ

أ.د. محمد علي القوزي
رئيس قسم التاريخ في جامعة بيروت العربية

{ ....يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} [المجادلة: 11]

مناسبة جميلة أن أكتب كلمة عن رائدة في التاريخ، صاحبة القلم الراعية للمسيرة العلمية... سيدة علمتني الكثير من بحر علمها الواسع الغزير.

كلمة أردت بها إظهار القدوة الحسنة والمثل الذي يجب أن يحتذى به في العمل بصمت والعطاء بلا حدود، كلمة نستنشق منها رحيق المحبة والوفاء، ونتذكر عالمة نذرت نفسها لتدريس التاريخ ولدراسة العبر من خلاله.

اسمها نشأت، والنشوء يرتبط بالارتقاء والسمو، فكانت سامية في أخلاقها وتواضعها، وصمتها رغم غزارة علمها، ذلك العلم الذي كان نبراساً وهادياً لكل من سار في طريقه.

نعم؛ أردت أن أكتب عنها لأكون أحد الذاكرين العارفين ممن شاركوها في حياتها العلمية وترعرعوا في مدرستها الأخلاقية، أردت أن تكون كلمتي ومضة أمل وضياء مشجعة لمن بدؤوا، لأمضي في طريق العلم الطويل، لعل كلمتي تكون كلمة وفاء وإخلاص لسيدة رائدة وهبت نفسها للتاريخ.

نعم؛ أردت أن تكون كلمتي كلمة شكر لها «**فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله**».

فهي من النساء الرائدات اللواتي خلفن لنا تراثاً ينم عن مناهجهن وأساليب تفكيرهن ومستوى ثقافتهن، وصلابة التمسك بالمبادئ، هي أولاً وأخيراً عربية مهما عانت وتعاني من تفتت الأنظمة العربية، هي قد اهتمت؛ بل تنشقت الحرية مع الناصرية التي كانت أكسير الحياة في الستينيات من القرن الماضي وما زالت هذه العزة الناصرية تتجلى في بعض العروبيين ومنهم سيدتنا المؤرخة نشأت نور الدين الخطيب، التي لم تكتف بالرعاية والاهتمام بأسرتها الصغيرة حتى أوصلتها إلى ما ترغب كل أم بإيصال أبنائها إليه؛ بل اهتمت بالأمة العربية، وبالمفهوم القومي العربي الذي نبذه كثير من رجالات عصرنا، فهي ما زالت السيدة العربية الفخورة بناصريتها وبعروبتها مهما غفل عنها الغافلون ونسيها الذاكرون.

يظهر في كلامها حبها لوطنها الذي لا يفوق حبها لانتمائها العربي القومي هذا الانتماء الذي كان وللأسف حجر عثرة في سبيل الاهتمام بها فحاربتها جماعات طفيلية رجعية عملت على إسكاتها، ومع ذلك لم تصمت بل ازدادت صلابة وهمّة وهي التي تحملت همَّ الأمة العربية وفكّرت بإخوانها المشردين من أبناء وطننا السليب، فالدفاع عن القضية الفلسطينية، وإحياء المد القومي العربي من أهدافها التي عملت وتعمل من أجلها.

لم تدع شيئاً من علمها إلا وعلمته أو دونته في دقة ودهشة فهي محبة للإتقان والتحري وأمينة في النقل ودقيقة الملاحظة نافذة البصيرة، وهذه الصفات الضرورية للمؤرخ، وهل لكم أن تعرفوا من أين أثنيت بهذه الكلمات وأنا المعجب بتواضعها العلمي، لقد عرفت المؤرخة الأستاذة نشأت من فترة ليست ببعيدة، وهي مدة قصيرة بالنسبة للمؤرخين ذلك أنه خلال عملي في جامعة بيروت العربية، كان لا بد من التعاون مع أساتذة من الجامعات الأخرى. وكان لي شرف التعاون مع أستاذتنا الدكتورة نشأت في مناقشة بعض الأعمال العلمية في المجال التدريبي، وهنا ظهرت الحقيقة، لم تكن العالمة الدكتورة نشأت متعجرفة، ولم تكن في برج عاجي كما هي حال البعض؛ بل كانت متواضعة بقدر غزارة علمها، لفت نظري تواضعها، غزارة علمها كلامها الرقيق، ملاحظاتها الهادفة لطلابها، مع كل هذا هي الأستاذة التي كما أعطت عائلتها الصغيرة، أعطت كل طلابها في دراساتهم العليا، فأوجدت نواة كبرت وتوسعت في المجتمع العربي من المؤرخين الفخورين بقولهم لها: «أستاذتنا».

نعم؛ فهي صاحبة المبدأ القائل: «خيركم من تعلم العلم وعلمه».

ولعل من أهم ركائز مؤرختنا صلتها بطلابها، وإذا اعتبرت نفسي وإياها من يمثلون الجيل القديم من المؤرخين، فهي كانت تعمل على التواصل مع جيل الشباب من الباحثين الذين تتلمذوا على أيديها، فهي تؤمن أن نشر مبادئها لن يتم إلا بترسيخ علاقاتها مع طلابها ومواصلة الاتصال بهم في المناسبات العديدة حتى لا تنقصهم عرى المودة العلمية.

وأخيراً؛ وإن كنت اعتبر نفسي من العاملين لضرورة حصول المرأة في بلادنا على حقوقها الإنسانية لا أستطيع أن أتغاضى عن نشاط رائدتنا الفاضلة الأستاذة نشأت في مجال الدفاع عن حقوق المرأة، وذلك من خلال نشاطها النسوي منذ خمسين عاماً عندما مثلت لبنان في الاحتفال باليوبيل الذهبي للاتحاد النسائي المصري الذي عقد في القاهرة عام 1972م.

كما مثلت المجلس النسائي اللبناني في دمشق في تموز عام 1974م في ندوة عقدت للتأهيل المهني للمرأة العربية.

وقد شاركت في المؤتمر التحضيري للسنة العالمية للمرأة الذي عقد في بيروت في الهولياداي إن عام 1974م، وبمناسبة السنة العالمية للمرأة عام 1975 فقد شاركت في المؤتمر التحضيري الذي عقد في باريس، ممثلةً لاتحاد الجامعيات اللبنانيات.

وإذا اخترت الإضاءة إلى نشاطها النسوي فلا يعني هذا نكران ما شاركت في العديد من المؤتمرات والندوات في أنحاء مختلفة من العالم، وهي ما زالت رائدة في مجالها، وليس لي إلا أن أطلب من العلي القدير أن يطيل بعمرها بصحة وعافية ولتبقى مضيئة ومدافعة عن قضايانا الإنسانية والقومية. أخيراً؛ شكراً أساتذتنا د. نشأت نور الدين الخطيب.